من لم يورَّث بالاستفتاء ورث بغيره....

بقلم د.المصطفى حجازي- مفكر مصري

من المؤلم حقاً أن يختزل التنافس السياسي في بلد بحجم وتاريخ مصرنا الثكلى إلى عملية نصب سياسي مكتملة الأركان بل وتتحول مع تسارع وتيرة الأحداث إلى عملية اغتصاب سياسي.

ومن المثير للدهشة والاستياء معاً أن في بلد يفتقد الإبداع كقدرة إنسانية فريدة في كافة مناحي حياته، أن تحتكر نظم الحكم فيه (والحديث هنا عن مصر) إبداعاً خاصاً يتمثل في تكييف ضمان سبل البقاء القسري على سدة الحكم ودحر الخصوم حتى وإن كان الثمن هو مستقبل أمة بأكملها. والملفت للانتباه أيضا أن تكون هذه القدرة الغائبة عن أي فعل آخر لهذه النظم - إلا في معرض ضمان بقاؤه السرمدي - بهذه الحدة والقابلية للتكيُّف والتلوُّن ضد ضغوط زخم الإصلاح.

أعتقد أننا بصدد ممارسة تتعدى المكيافيلية في انتهازيتها وتفوقّها في آثارها المُدَمِّرَة نفسياً وحضارياً للشعوب. فالمكيافيلية تعتمد أن الغاية تبرر الوسيلة وكفى... ولكن مانراه يحدث أمام ناظرينا من تعامل أجهزة النظام المصري الحالي مع نبتة الأمل في صدور المصريين نحو حياة كريمة فهو اغتصاب حاضر وارتهان مستقبل أمة واعدة مقابل ثمن بخس وهو البقاء في سدة الحكم وتَجَنُّب احتمالية المحاسبة من قِبَل الشعب المُنهَك حال ترك السلطة.

لذا ولما تقدم صار لزاماً أن نخاطب مابقى من ضمير في بعض أركان النظام الحالي وبخاصة المنتمين إليه حديثاً من خلال حسن النوايا والرغبة في الإصلاح من الداخل أو بعض اصحاب الصفقات ووجوه لجنة السياسات بالحزب الوطني. نناشدهم أن يتجردوا من أجل مستقبل أمة يساهمون أما بالصمت أو الدعم في جرِّها إلى غياهب احتلال جديد وسلب إرادة كامل وشبه اختفاء حضاري.

إن التَوَهُم بأن عملية التوريث - التي تجري إرساء قواعدها الآن من خلال الإمعان في دعم ثقافة التغييب لدى الغالبية من الشعب المصري وسلبه أي فرصة أو أداة من شأنها تنويره أو زيادة وعيه- هي دعم لاستقرار هذا الوطن المكلوم، فهذا هو الزيف بعينه. لأن توريث السلطة وإن كان يجري من خلال حرفية عالية توظف المظهر الديمقراطي دون الجوهر وتعزف في ذات الوقت على أوتار مخاوف المصريين من التغيير عموماً وعلى أوتار تسليمهم بثنائية المُستَعبِد والمُستَعبَد في العلاقة مع الحاكم، لن يفضي إلى حرية أو كرامة من أي نوع وكيف يؤدي إلى ذلك ومنشأه التسليم باستعباد الحاكم الفرعون للشعب بغض النظر عن الطريقة التي أدّت بهذا الفرعون لسدة الحكم.

ولهذا ، نرى أن كل من يساهم في الانتقال التوريثي للسلطة بالدعم أو الصمت على مظاهر الديمقراطية المفرغة من أي مضمون للحريات، عليه أن يعلم أنه يدفع ثمن مجد لن ينال منه إلا فتات المصالح المادية وسيبقى مرتهناً لنفس العقلية القهرية، مطالباً بإبداء العبودية في السر والعلن. انحازوا إلى ضمائركم التي وإن لم تكن في خلجات نفوسكم فقد تمثَّلت في الأغلبية الصامتة من هذا الشعب ورهينة المحبسين الخوف والجهل. لا تنحازوا إلى من هانت عليه أمة بأكملها من أجل مجد شخصي لا يستحقه وإن استحقة فمن هانت عليه أمة بأسرها لن يلتفت إلى غثاء مثلكم حال استنفاذ غرضه منكم.

ولنعلم جميعاً أن تغيير الأسماء لا يُغَيِّر الحقائق فالكذب كذباً حتى ولو سُمِّيَ "تناول مختلف" والقهر قهراً حتى ولو تذرع ب"الاستقرار" والتوريث توريثاً حتى وإن نبت في حقل الانتخاب.

All copy rights and Intellectual Property rights for the methodology and concepts used in this are reserved by SQUARE Institute for Strategic Thinking, ACME Corp-EMENA ® Copyright © 2005

All copy rights and Intellectual Property rights for the methodology and concepts used in this are reserved by SQUARE Institute for Strategic Thinking, ACME Corp-EMENA ® Copyright © 2010